وأما إن أريد به جنة غيرها فإنها تجيء منكرة أو مقيدة بالإضافة، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة فى الأرض.

فالأول كقوله: {جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ}[1].

والثانى كقوله: {وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ}[2].

والثالث كقوله: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ}[3] .

قالوا: ومما يدل على أن جنة آدم هى جنة المأوى، ما روى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى[4] الأشعرى قال: "إن الله - تعالى - لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير".

قالوا: وقد ضمن الله - سبحانه وتعالى - له إن تاب إليه وأناب أن يعيده إليها، كما روى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[5] قال: "يا رب ألم تخلقنى بيدك؟ قال: بلى، قال: أى رب ألم تنفخ فىّ من روحك؟ قال: بلى، قال: أى رب ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال: أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}" وله طرق عن ابن عباس، وفى بعضها: "كأن آدم قال لربه إذ عصاه: رب إن تبت وأصلحت، فقال له ربه : وإنى راجعك إلى الجنة"[6] فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد، ونحن نسوق حجج الآخرين.

* * * * * * *

## الباب الرابع
## سياق حجج المخالفين لهذا الرأى

( فى سياق حجج الطائفة التى قالت: ليست جنة الخلد وإنما هى جنة الأرض).

---

(1) آية (32) سورة الكهف.

(2) آية (39) سورة الكهف.

(3) آية (127) سورة القلم.

(4) أبو موسى الأشعرى هو: عبد الله بن قيس بن سليم الأشعرى. كان له ثلاث هجر: إلى مكة، ثم إلى الحبشة، ثم إلى المدينة. وكان رضى الله عنه قارئا صيتا. مات سنة (42). له ترجمة فى الرياض المستطابة ص (188 - 191).

(5) آية (37) سورة البقرة.

(6) ابن كثير (81/1).

قالوا: هذا قول تكثر الأدلة الموجبة للقول به فنذكر بعضها. قالوا: قد أخبر الله - سبحانه - على لسان جميع رسله: أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد، وقد وصفها الله - سبحانه وتعالى - لنا فى كتابه بصفاتها، ومحال أن يصف الله - سبحانه وتعالى - شيئا بصفة، ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التى وصفه بها.

قالوا: فوجدنا الله - تعالى - وصف الجنة التى أعدت للمتقين بأنها دار المقامة، فمن دخلها أقام بها ولم يقم آدم بالجنة التى دخلها.. ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها..، ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهى..، ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان، وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء..، ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها أبدا، وقد عصى آدم ربه في جنته التى دخلها..، ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل..، وسماها دار السلام ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة..، ودار القرار ولم يستقرا فيها. وقال فى داخليها:{وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ}[1]، وقد أخرج منها الأبوان، وقال:{لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ}[2]، وقد ند فيها آدم هاربا فارا، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه، وهذا النصب بعينه..، وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأثيم، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه..، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب، وقد سمع فيها آدم - عليه السلام - كذب إبليس، وقد سماها الله - سبحانه وتعالى - مقعد صدق، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه. وقد قال تعالى للملائكة:{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}[3] ولم يقل: إنى جاعل فى جنة المأوى، فقالت الملائكة:{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء}، ومحال أن يكون هذا فى جنة المأوى.

وقد أخبر الله - تعالى - عن إبليس أنه قال لآدم:{هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى}[4]؟ فإن كان الله - سبحانه وتعالى - قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذى لا يبلى، فكيف لم يرد عليه ويقول له: كيف تدلنى على شيء أنا فيه وقد أعطيته؟، ولم يكن الله -

---

(1) آية (48) سورة الحجر.
(2) الآية السابقة.
(3) آية (30) سورة البقرة.
(4) آية (120) سورة طه.

سبحانه وتعالى - قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين، ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيحته، ولكنه لما كان فى غير دار خلوده غره بما أطمعه فيه من الخلد.

وقالوا : ولو كان آدم سكن جنة الخلد وهى دار القدس التى لا يسكنها إلا طاهر مقدس، فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور، حتى فتن فيها آدم - عليه السلام - ووسوس له؟؛ وهذه الوسوسة إما أن تكون فى قلبه، وإما أن تكون فى أذنه، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين؟، وأيضا فبعد أن قيل له: اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها، أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرد بعتوه واستكباره، وهل هذا يلائم قوله:{فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا}؟.[1] فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبرا فما التكبر بعد هذا؟.

فإن قلتم: فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو فى الأرض وهما فوق السماء فى عليين، فهذا غير معقول لغة ولا حسا ولا عرفا، وإن زعمتم أنه دخل فى بطن الحيّة حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل، إذ كيف يرتقى بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة ولو فى بطن الحيّة؟.

وإذا قلتم: إنه دخل فى قلوبهما ووسوس إليهما، فالمحذور قائم، وأيضا فإن الله- سبحانه وتعالى - حكى مخاطبته لهما كلاما سمعاه شفاها؛ فقال:{مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ}[2] وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة، ولما كان آدم خارجا من الجنة وغير ساكن فيها قال الله - تعالى - له:{أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ}[3] ولم يقل عن هذه الشجرة، فعندما قال لهما:{مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ} لما أطمعهما فى ملكها والخلود فى مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريبا لها وإحضارا لها عندهما وربهما - تعالى - قال لهما:{أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ} ولما أراد إخراجهما منها، فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة، كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التى

---

(1) آية (13) سورة الأعراف.
(2) آية (20) سورة الأعراف.
(3) آية (22) سورة الأعراف.

7 نهيا عنها، وأيضا فإنه - سبحانه - قال:{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}[1] ووسوسة اللعين من أخبث الكلم فلا تصعد إلى محل القدس.

قال ابن منذر: وقد روى عن النبى ﷺ: "أن آدم - عليه السلام - نام فى جنته وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين، فإن النبى ﷺ سئل أينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النوم أخو الموت والنوم وفاة» [2] وقد نطق به القرآن، والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت. قلت: الحديث الذى أشار إليه المعروف أنه موقوف من رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: "خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم". وقال أسباط عن السدى: أسكن آدم - عليه السلام - الجنة وكان يمشى فيها وحْشًا ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها ما أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟. قالت: لتسكن إلى".

وقال ابن إسحاق عن+ ابن عباس: "ألقى الله على آدم - عليه السلام - السنة ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر وألأم مكانه لحما وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء، فسواها امرأة يسكن إليها، فلما كشف عنه السنة وهبّ من نومته رآها إلى جنبه فقال: لحمى ودمى وزوجتى فسكن إليها.

قالوا: ولا نزاع أن الله - سبحانه وتعالى - خلق آدم فى الأرض ولم يذكر فى موضع واحد أصلا أنه نقله إلى السماء بعد ذلك، ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر، لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه، فإنه كان معراجا ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السماء.

قالوا: وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء، وقد أخبر ملائكته أنه جاعله فى الأرض خليفة؟، وكيف يسكنه دار الخلد التى من دخلها خلد فيها ولا يخرج منها؟ قال تعالى:{وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ}[3].

قالوا: ولو لم يكن معنا فى المسألة إلا أن الله - سبحانه - أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم - عليه السلام - وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع

---

(1) آية (10) سورة فاطر.

(2) (صحيح) المشكاة (5654)، والحلية (90/7)، والسلسلة الصحيحة (1087) رواه البيهقي في شعب الإيمان من حديث جابر بن عبد الله، وفي كنز العمال : (ح 39321/11)

(3) آية (48) سورة الحجر.

خلافه، ثم أدخل آدم - عليه السلام - الجنة بعد هذا، فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل، فلو كانت الجنة فوق السماوات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها.

وأما تلك التقادير التي قدرتموها فتكلفات ظاهرة، كقول من قال: يجوز أن يصعد إليها صعودا عارضا لا مستقرا، وقول من قال: أدخلته الحيّة، وقول من قال: دخل إليها في أجوافها، وقول من قال: يجوز أن تصل وسوسته إليهما وهو في الأرض وهما فوق السماء. ولا يخفى ما في ذلك من التعسف الشديد والتكلف البعيد، وهذا بخلاف قولنا. فإنه - سبحانه - لما أهبطه من ملكوت السماوات حيث لم يسجد لآدم - عليه السلام - أشرب عداوته، فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيده وغروره في إخراجه منها. والله أعلم.

قالوا: ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون: أن الله - سبحانه - لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلا ينتهي إليه. وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذي في جامعه[1] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم- عليه السلام – ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله فحمد الله بإذنه. فقال ربه: يرحمك الله يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقال: السلام عليكم. قالوا: وعليك السلام، ثم رجع على ربه فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم. فقال الله له ويداه مقبوضتان، اختر أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال : يا رب ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب بين عينيه عمره، فإذا فيها رجل أضوؤهم أو من أضوئهم قال: يا رب من هذا؟ قال: هذا ابنك داود وقد كتب له عمر أربعين سنة. قال: يا رب زد في عمره، قال : ذلك الذي كتبت له، قال: أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك، قال: ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها. فكان آدم – عليه السلام – يعد لنفسه، قال: فأتاه ملك الموت فقال له آدم: وقد عجلت قد كتبت لي ألف سنة، قال: بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، قال : فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود**» قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة.

---

(1) في التفسير: ب(94): حديث (3368)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (85)، والحاكم (64/1).

قالوا: فهذا صريح فى أن آدم - عليه السلام - لم يخلق فى دار البقاء التى لا يموت من دخلها، وإنما خلق فى دار الفناء التى جعل الله -تعالى- لها ولسكانها أجلا معلوما، وفيها أسكن.

فإن قيل: فإذا كان آدم - عليه السلام - قد علم أن له عمرا مقدرا وأجلا ينتهى إليه، وأنه ليس من الخالدين، فكيف لم يعلم كذب إبليس فى قوله:{هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ}[1] وقوله:{أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}[2] ؟.

**فالجواب من وجهين:**

**أحدهما:** أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء، بل هو المكث الطويل كما سيأتى.

**الثانى:** أن إبليس لما حلف له وغره وأطمعه فى الخلود نسى ما قد قدر له من عمره.

قالوا: وأيضا فمن المعلوم الذى لا ينازع فيه مسلم أن الله - سبحانه - خلق آدم - عليه السلام - من تربة هذه الأرض، وأخبر أنه خلقه من سلالة من طين، وأنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون. فقيل: هو الذى له صلصلة ليبسه. وقيل: هو الذى تغيرت رائحته من قولهم: صل اللحم إذا تغير. والحمأ: الطين الأسود المتغير، والمسنون: المصبوب، وهذه كلها أطوار للتراب الذى هو مبدؤه الأول. كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة،ثم من علقة، ثم من مضغة، ولم يخبر - سبحانه وتعالى - أنه رفعه من الأرض إلى فوق السموات لا قبل التخليق ولا بعده، فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعاده هو بعد خلقه؟ وهذا ما لا دليل لكم عليه، ولا هو لازم من لوازم ما اخبر الله به.

قالوا: ومن المعلوم أن ما فى السماوات ليس بمكان للطين الأرضى المتغير الرائحة الذي أنتن من تغيره، وإنما محل هذا الأرض التى هى محل المتغيرات الفاسدات، وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء. قالوا: وقد قال الله تعالى:{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[3].

فأخبر - سبحانه - أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ. قالوا: فإذا جمع ما أخبر

---

(1) آية (120) سورة طه.
(2) آية (20) سورة الأعراف.
(3) آية (108) سورة هود.

به - سبحانه - من أنه خلقه فى الأرض، وجعله خليفة فى الأرض، وأن إبليس وسوس إليه في مكانه الذي أسكنه فيه بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له، وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل فى الأرض خليفة، وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف، وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب، وأن من دخلها لا يخرج منها ولا ييأس ولا يحزن ولايخاف ولا ينام، وأن الله حرمها على الكافرين، وإبليس رأس الكفر، فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض، وفكر فيه المنصف الذى رفع له علم الدليل، فشمر إليه وربأ بنفسه عن حضيض التقليد تبين له الصواب. والله الموفق.

قالوا: ولم يكن فى هذه المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله - سبحانه - الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة، فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد، فهذا أيضا بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها . والله أعلم.

* * * * * * *

## الباب الخامس
## فى جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول

قالوا: أما قولكم إن قولنا: هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه، فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بإخبار الرسل، ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة، فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن، بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين بعينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا، وقد وجدنا من كلام السلف ما يدل على خلافه، ولكن لما وردت الجنة مطلقة فى هذه القصة، ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لعباده فى إطلاقها وبعض أوصافها، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هى بعينها، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئا، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة، ونحن إذا رجعنا إلى فطرتنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات.

وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة - رضى الله عنه - وقول آدم: وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم ؟. فإنما يدل على تأخر آدم - عليه السلام - عن الاستفتاح للخطيئة التى قد تقدمت منه فى دار الدنيا، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة، كما فى